قصص
الحيوان
في القرآن

الْهُدْهُدُ الرَّسُولُ

إعداد
الطاهرة عماري أحمد

رسوم
عبد المرضى عبيد

زهرة البستان
لثقافة الطفل

زهرة البستان

مدينة الشيخ زايد - الحي ١٦-المجاورة ٤ - عمارة ٦٤ - الجيزة - مصر

تليفون : ٠١١٤٤٤٥٥٢٠٠ (٢٠٢+) - فاكس : ٣٧٦٠٨٦٥٠ (٢٠٢+)

E.mail: Zahrtelbostan@outlook.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رقم الإيداع : ٢٨١٨ / ٢٠١٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 978-977 - 6506 - 38 - 1

اسْـمِي عَنْبَرُ .. كُنْتُ مُسْتَكْشِفًا لِلْمِيَاهِ وَأَحَدَ قَادَةِ الاسْتِطْلاعِ .. أَدُلُّ صَاحِبِي عَلَـى مَـكَانِ الْمَاءِ فِي الصَّحْـرَاءِ .. لِيَحْفِرَ العُمَّالُ مَكَانَهُ وَيسْـتَخْرِجُوهُ .. لَمْ يَكُنْ هَـذَا دَوْرِي الوَحِيـدَ .. فَقَدْ أَرَادَ اللـهُ لِي أَنْ أَكُونَ ذَا شَـأْنٍ عَظِيمٍ ، وَمَنَحَنِي حُسْـنَ الإِدْرَاكِ وَالذَّكَاءِ والإِيمَانِ .. وَجَعَلَنِي سَـبَبًا فِي هِدَايَةِ أُمَّةٍ بِأَكْمَلِهَا ، وَإِرْشَـادِهِم إِلَى طَرِيـقِ عِبَادَةِ اللـهِ وَحَدَهُ .. كُنْـتُ جُنْدِيًا فِي أَعْظَمِ جُيُـوشِ الأَرْضِ .. وَخَادِمًـا لِنَبِيٍّ كَـرِيمٍ .. هُوَ نَبِيُّ اللـهِ سُـلَيمَانُ .. وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ أَجْمَلِ الطُّيُورِ الَّتِي خَلَقَهَـا اللـهُ عَلَى وَجْـهِ الأَرْضِ .. هَلْ عَرَفْتُمُونِي ؟

أَنَا الهُدْهُـدُ الْعَجِيبُ .. صَاحِبُ

التَّاجِ فَوْقَ رَأْسِي .. لَكِنِّي لَسْتُ مِثْلَ أَيِّ هُدْهُدٍ .. أَنَا قَائِدُ الهَدَاهِدِ فِي جَيْشِ سَيِّدِي .. لَقَدْ أَرَادَ اللهُ لِي أَنْ أَكُونَ مُخْتَلِفًا وَخَارِقًا لِلْمَأْلُوفِ .. فَكَلَّفَنِي بِمُهِمَّةٍ عَظِيمَةٍ .. أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهَمِّ الرُّسُلِ الَّذِينَ عَرَفَهُمُ التَّارِيخُ .. فَأَنَا رَسُولُ نَبِيِّ اللهِ الكَرِيمِ «سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ» – عَلَيهِمَا السَّلامُ – إِلَى مَمْلَكَةِ سَبَأَ ..

هَكَذَا كَانَ يَحْكِي أَحَدُ الهَدَاهِدِ هَذِهِ القِصَّةَ العَجِيبَةَ الَّتِي حَدَثَتْ لأَحَدِ أَجْدَادِهِ، وَتَوَارَثَتْ حَكْيَهَا الهَدَاهِدُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ.

حَكَى جَدِّي قَائِلاً : حِكَايَتِي عَجِيبَةٌ غَرِيبَةٌ..

بَدَأَتْ عِنْدَمَا غِبْتُ عَنْ سَيِّدِي وَاكْتَشَفَ غِيَابِي، وَكَانَ حُكْمُهُ عَلَيَّ شَدِيدًا قَاسِيًا وَصَلَ إِلَى العَذَابَ الشَّدِيدِ أَو الذَّبْحِ إِذَا لَمْ أُقَدِّمْ لَهُ مُبَرِّرًا لِتَأَخُّرِي.. وَانْتَهَتْ قِصَّتِي عِنْدَمَا أَكْرَمَنِي اللهُ بِأَنْ آمَنَتْ أُمَّةٌ كَامِلَةٌ بِسَبَبِي ..

تُرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفُوَا حِكَايَتِي ؟ .. سَأَقُصُّهَا عَلَيكُمْ أَيَّتُهَا الطُّيُورُ» .

وَتَجَمَّعَت الطُّيُورُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ ، وَانْتَشَرتْ عَلَى فُرُوعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي وَقَفَ عَلَيْهَا الهُدْهُدُ لِتَسْتَمِعَ إِلَيهِ وَتُتَابِعَ قِصَّةَ جَدِّهِ العَجِيبَةَ .

وَبَدَأَ الهُدْهُدُ يَحْكِي عَنْ جَدِهِ قَائِلاً : فِي ذَلِكَ اليَومِ الْمَشْهُودِ اقْتَرَفْتُ جُرْمًا عَظِيمًا .. خَرَجَ سَيِّدِي نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام كَعَادَتِهِ لِيَتَفَقَّدَ الجَيْشَ وَيَسْتَعْرِضَ جُنُودَهُ وَيُفَتِّشَ عَلَيهِم .. بَدَأَ بِالإِنْسِ .. ثُمَّ مَرَّ عَلَى الجِنِّ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَفَقَّدَ الحَيَوَانَاتِ .. وَأَخِيرًا تَفَقَّدَ الطَّيْرَ .. رَأَى كُلَّ صَنْفٍ مِنْ صُنُوفِ إِخْوَانِي الطُّيُورِ .. كَانَ سَيِّدِي دَقِيقًا قَوِيَّ المُلاحَظَةِ .. فَبِالرَّغْمِ مِنْ هَذَا

الحَشْـدِ الضَّخْمِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالحَيَوَانَاتِ وَالطَّيْرِ .. لاحَظَ سَـيِّدي غِيَابِي .. وَسَـأَلَ عَنِّي فِي غَضَبٍ : ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ وَفِي سُـرْعَةٍ وَدِقَّةٍ دَارَتْ عَيْنَاهُ تَبْحَثَانِ عَنِّي بَيْنَ الطُّيُورِ فَلَمْ يَجِدْنِي .

فَقَالَ سَيِّدِي فِي غَضَبٍ : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ .

عَلِمَتْ جَمِيعُ الطُّيُورِ أَنَّنِي كُنْتُ غَائِبًا بِغَيرِ إِذْنٍ وَدُونَ عِلْمِ سَيِّدِي .. وَلَمْ يَعُدْ أَمْرُ غِيَابِي سِـرًّا .. وَتَوَعَّدَنِي سَـيِّدِي بِالعَذَابِ الشَّـدِيدِ .. أَوْ بِالذَّبْحِ إِذَا لَمْ أُقَدِّمْ لَهُ – عِنْدَ عَوْدَتِي – عُذْرًا مُنَاسِبًا وَسَبَبًا مُقْنِعًا وَحُجَّةً لِغِيَابِي دُونَ عُذْرٍ أَوِ اسْتِئْذَانٍ .

وَمَرَّتْ سَـاعَاتٌ قَلَائِلُ .. لَمْ تَكُنْ غَيْبَتِي طَوِيلَةً .. وَعُدْتُ إِلَى مَوْقِعِي .. وَأَنَا أَحْمِلُ خَبَرًا مُهِمًّا وَنَبَأً عَظِيمًا ..

عَرَفْتُ أَنَّ سَـيِّدِي اكْتَشَـفَ غِيَابِي .. مَا أَشَـدَّ خَوْفِـي وَرُعْبِي مِمَّا سَـأُلَاقِيهِ مِنَ العَـذَابِ وَالوَيلِ .

لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ سَيِّدِي نَبِيٌّ عَادِلٌ وَحَلِيمٌ .. أَخْبَرَتْنِي الطُّيُورُ أَنَّهُ قَدِ اسْتَثْنَانِي مِنَ العَذَابِ إِذَا عَرَفَ سَبَبَ غِيَابِي، وَكَانَتْ حُجَّتِي مُقْنِعَةً .. هَا قَدْ نَجَوْتُ .. وَإِنْ شَاءَ اللهُ سَيَقْنَعُ سَيِّدِي بِعُذْرِي .نَصَحَنِي إِخْوَانِي مِنَ الطُّيُورِ قَائِلِينَ : «أَسْرِعْ فِي المُثُولِ أَمَامَ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عليه السلام لِتَقُصَّ عَلَيهِ سَبَبَ غِيَابِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ بِعَوْدَتِكَ دُونَ أَنْ تُسَلِّمَ نَفْسَكَ» .

قَرَّرْتُ أَنْ أُسْرِعَ إِلى سَيِّدِي .. وَأُسْمِعَهُ مَا عِنْدِي مِنَ الأَخْبَارِ العَجِيبَةِ . عَلَّهُ يَعْفُو عَنِّي وَيُسَامِحُنِي عَلَى الغِيَابِ دُونَ إِذْنٍ .

وَمَثُلْتُ أَمَامَ سَيِّدِي سُلَيمَانَ .. كُنْتُ أَعْرِفُ غَضَبَهُ وَحَزْمَهُ وَشِدَّتَهُ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَسْبِقَهُ فِي الحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يُوَقِّعَ عَلَيَّ العَذَابَ بِسَبَبِ غَيْبَتِي .

قُلْتُ لَهُ : «سَيِّدي .. أَحْمِلُ إِلَيْكَ خَبَرًا عَظِيمًا .. لَمْ تَتَطَلَّع عَلَيهِ أَنْتَ وَجُنُودُكَ» .. هَا قَدْ ضَمِنْتُ انْتِبَاهَ سَيِّدي وإِصْغَاءَهُ إِلَيَّ ..

أَكْمَلْتُ حَدِيثِي قَائلاً : لَقَدْ جِئْتُ مِنْ مَمْلَكَةِ سَبَأٍ الْعَظِيمةِ فِي اليَمَنِ بِنَبأٍ خَطِيرٍ وَأَخْبارِي مُؤَكَّدَةٌ . لَقَدْ وَجَدْتُهُم تَحْكُمُهُم امْرأَةٌ عَظِيمَةُ الثَّرَاءِ وَالغِنَى وَهِيَ المَلِكَةُ «بِلْقِيسُ بِنْتُ شَرَاحِيلَ» .. وَلَدَيْهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ هَائِلٌ مُزَخْرَفٌ بِالذَّهَبِ وَالجَوَاهِرِ واللَّآلِئِ النَّفِيسَةِ . وَكَانَ قَصْرُهَا عَظِيمًا رَفِيعَ البِنَاءِ وَلَكِنَّهَا وَقَوْمَهَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ الشَّمْسَ إِلهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ .. وَيَسْجُدُونَ لَهَا صَبَاحًا وَمَسَاءً .

وَأَظْهَرْتُ تَعَجُّبِي وَدَهْشَتِي مِنْ هَؤُلاءِ القَوْمِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ شَيئًا .. وَلا يَعْرِفُونَ لِلْحَقِّ سَبِيلاً ..

شَرَحْتُ لِسَيِّدي سَبَبَ غِيَابِي .. لا بُدَّ أَنَّهُ سَيَعْفُو عَنِّي .. فَقَدْ جِئْتُ لَهُ بِأَخْبَارِ قَوْمٍ لا يَعْبُدُونَ اللَّهَ .. وَيُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا . لاشَكَّ أَنَّ أَخْبَارِي تُهِمُّ سَيِّدي النَّبِيَّ المُؤْمِنَ الَّذِي كَلَّفَهُ اللَّهُ بِنَشْرِ رِسَالَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى الأَرْضِ .

لَكِنَّ سَـيِّدِي لَمْ يَتَسـرَّعْ وَيَمْنَحْنِي الْعَفْوَ . . لَقَدِ ارْتَابَ فِـي أَخْبَارِي وَأَرَادَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِي وَصِحَّةِ قَوْلِي .

فَكَّرَ سَيِّدي . . وَانْتَهى إِلَى قَرَارٍ . كَتَبَ رِسَالَةً سَرِيعَةً مُوْجَزَةً إِلَى «بِلْقِيسَ» وَقَوْمِهَا وَقَالَ لِي :

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْتَظِرَ بَعْدَ إِلْقَاءِ الرِّسَالَةِ . لِأَعْرِفَ مَاذَا سَوْفَ يَحْدُثُ .وَانْصَعْتُ لِلْأَمْرِ فَوْرًا . . وَضَعْتُ الرِّسَالَةَ فِي مِنْقَارِي وَطِرْتُ بِهَا سَرِيعًا إِلَى مَمْلَكَةِ سَبَأ .

كُنْـتُ أَشْـعُرُ بِالْفَخْرِ وَالْعِزَّةِ . . يَـا لِعَظَمَةِ دَوْرِي وَرِسَـالَتِي ! لَقَدْ أَصْبَحْتُ رَسُـولاً لِلنَّبِيِّ العَظِيـمِ الْكَرِيمِ «سُـلَيمَان» عليه السلام ! ! أَحْمِلُ رِسَالَةَ التَّوْحِيدِ إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ ! !

وَصَلْتُ . . وَبَحَثْتُ عَنِ المَلِكَةِ «بِلْقِيسَ» . لِأُلْقِيَ عَلَيْهَا الرِّسَـالَةَ . . وَوَجَدْتُهَا فِي خَلْوَتِهَا وَحِيـدَةً ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا رِسَالَتِي .

تَعَجَّبَـتِ المَلِكَةُ «بِلْقِيسُ» مِمَّا رَأَتْ وَدُهِشَـتْ لِمَا حَـدَثَ ، لَقَدْ جَاءَهَا رَسُولٌ مِنَ الطَّيرِ . . وَدَارَ فِي خَاطِرِهَا سُؤَالٌ : تُرَى مَنْ كَلَّفَ هَذَا الطَّائِرَ

الرَّسُولَ ؟ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيهِ أَعْظَمُ المُلُوكِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَاتِ البَشَرِ !

كَانَتْ حَيْرَتُها عَظِيمَةً .. لَكِنَّهَا أَخَذَتِ الرِّسَالَةَ فَفَتَحَتْهَا لِتَقْرَأَ مَا فِيهَا .

أَمَّـا أَنَا فَوَقَفْـتُ أُرَاقِبُهَا مِنْ بَعِيدٍ .. كَانَتِ الرِّسَـالَةُ قَصِيـرَةً مُوجَزَةً .. لَمْ يُنَاقِشْ سَـيِّدِي «سُـلَيمَانُ» عليه السلام أَمْرَ عِبَادَتِهِم لِلشَّمْسِ فِي رِسَـالَتِهِ .. بَلْ قَدَّمَ لَهَا وَلِقَوْمِهَا دَعْوَةً صَرِيحَةً مُبَاشِـرَةً لِلإِسْـلَامِ وَالدُّخُولِ فِي دِينِ اللهِ . كَانَتْ لُغَةُ الرِّسَـالَةِ فَصِيحَةً مُهَذَّبَةً فِي غَايَةِ البَسَـاطَةِ ، إِلا أَنَّ فِيهَا اسْـتِعْلَاءً وَقُوَّةً وَحَزْمًا وَاضِحًا : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾

أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

مَا زِلْتُ مُسْتَمِرًا فِي المُرَاقَبَةِ كَمَا أَمَرَنِي سَيِّدِي .. وَتَساءَلْتُ فِي نَفْسِي: «مَاذَا سَتَفْعَلُ المَلِكَةُ بِلْقِيسُ» ؟ وَكَيْفَ سَتَرُدُّ عَلَى الرِّسَالَةِ ؟

وَأَتَانِي الجَوَابُ سَرِيعًا . اسْتَدْعَتْ مُسْتَشَارِيهَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِهَا .. أَخْبَرَتْهُم بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الرِّسَالَةِ .. رَدَّ عَلَيْهَا القَوْمُ: إِنَّنَا أَصْحَابُ مُلْكٍ عَظِيمٍ وَقُوَّةٍ هَائِلَةٍ وَبَأْسٍ شَدِيدٍ . لَكِنَّنَا نُفَوِّضُ الأَمْرَ إِلَيكِ . مُرِينَا فَنَمْتَثِلَ لَكِ وَنُطِيعَكِ .

لازَالَتْ «بِلْقِيسُ» تَذْكُرُ لَهْجَةَ الرِّسَالَةِ ، واسْتَشْعَرَتْ مِنْهَا قُوَّةَ سَيِّدِي «سُلَيمَانَ» عليه السلام وَسَطْوَتَهُ ، فَمَنْ كَانَ رَسُولُهُ مِنَ الطَّيْرِ .. فَكَيْفَ بِعَجَائِبِ جَيشِهِ وَقُوَّتِهِ . وَعَرَفَتْ أَنْ لا قِبَلَ لَهَا وَلِقَوْمِهَا بِهِ . كَانَتْ «بِلْقِيسُ» تَخْشَى عَلَى قَوْمِهَا وَيْلاتِ الحُرُوبِ ، وَخَافَتْ أَنْ تَسْتَهِينَ بِالرِّسَالَةِ وَتَمْتَنِعَ عَنِ الإِيْمَانِ ، فَيَقْصِدَهُمْ سَيِّدِي «سُلَيمَانُ» عليه السلام بِجُنُودِهِ وَيَهْلِكَهُم وَيُدَمِّرَ بِلادَهُم .

حَزَمَتْ «بِلْقِيسُ» أَمْرَهَا ، وَفَضَّلَتِ المُسَالَمَةَ ، وَقَرَّرَتْ أَنْ تُرْسِلَ رُسُلَهَا إِلَى سَيِّدِي بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ تَلِيقُ بِهِ - فِي نَظَرِهَا - لِتَعْرِفَ مَاذَا سَيَكُونُ رَدُّهُ عَلَيهَا .

عُـدْتُ إِلَـى بِلاَدِي وَأَنَـا أَحْمِلُ أَخْبَارَ الرِّسَـالَةِ إِلَى سَـيِّدِي «سُـلَيمَانَ» عليه السلام .. قَصَصْـتُ عَلَيـهِ كُلَّ مَا حَـدَثَ، وَمَنَحَنِي سَيِّدِي العَفْوَ الَّذِي كُنْتُ أَنتَظِرُهُ .

هَـلْ تَعْرِفُـونَ مَا حَـدَثَ بَعْدَ ذَلِـكَ .. لَقَدْ أَسْـلَمَتِ المَلِكَةُ «بِلْقِيسُ» وَقَوْمُهَا .. وَكُنْتُ أَنَا السَّـبَبَ فِي إِيمَانِهِم بِاللهِ .. لَقَدِ انْتَهَى دَوْرِي.. لَكِنَّ ذِكْرِى يَظَلُّ إِلَى الأَبَدِ .. وَفَخْرُ أَحْفَادِي بِمَا فَعَلْتُ سَيَسْتَمِرُّ أَبَدَ الدَّهْرِ .. فَأَنَا الهُدْهُدُ الرَّسُولُ .